

حياة أعظم الرسل

محمد في مُعاهدة الحُدَيْبِيَّة

محمّد في مُعَاهَدَةِ الحُدَيْيَةِ

مَضَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتُّ
سَنَوَاتٍ مُنْذُ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .
قَضَاهَا فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
وَتَحْسِينِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ اجْتِمَاعِيًّا
وَأَقْتِصَادِيًّا .

أَحَبَّ الْأَنْصَارُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَكْرَمُوهُمْ
كُلَّ الْإِكْرَامِ ، وَسَاعَدُوهُمْ كُلَّ
الْمُسَاعَدَةِ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَمْنَعِ
الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الشُّوقِ إِلَى وَطَنِهِمْ ، وَالرَّغْبَةِ

فِي زِيَارَتِهِ .

وَلَا عَجَبَ ؛ فَحُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ،
وَهُوَ شُعُورٌ طَبِيعِيٌّ . وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ
الدُّمُوعُ تُرَى فِي أَعْيُنِ الْمُهَاجِرِينَ حِينَمَا
يَتَكَلَّمُونَ عَنْ مَكَّةَ ، وَطَنِهِمُ الْمَحْبُوبِ .
وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَجُّ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ
كَيْفَ يُؤَدُّونَ هَذَا الْوَاجِبَ الدِّينِيَّ وَالْكَفَّارُ
فِي مَكَّةَ لَا يَسْمَحُونَ لَهُمْ بِزِيَارَتِهَا ؟ وَقَدْ
اشْتَاقُوا جَمِيعًا لِزِيَارَةِ الْكَعْبَةِ ، وَأَدَاءِ فَرِيضَةِ
الْحَجِّ . وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى الْمُصْطَفَى ﷺ فِي
الْحُلُمِ أَنَّهُ ذَهَبَ لِزِيَارَةِ الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ ، وَمَعَهُ

أَصْحَابُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَالرَّسُولُ صَادِقٌ
فِي حُلْمِهِ الَّذِي يَرَاهُ . وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ
لِأَصْحَابِهِ مَا رَأَاهُ فِي الْحُلْمِ ، فَسُرُّوا كَثِيرًا
بِهَذَا الْخَبَرِ ، وَأَخَذَ كُلُّ مُسْلِمٍ يَسْتَعِدُّ
لِلذَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ ؛ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ .
وَفِي ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ
رَسُولَهُ الرُّوْيَا ^(١) بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ ^(٢)
رُءُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ

(١) هِيَ رُؤْيَاهُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ .

(٢) لِأَنَّ الْحَاجَّ أَوْ مَنْ أَرَادَ الْعُمْرَةَ — إِذَا انْتَهَى مِنْ عِبَادَتِهِ خَلَقَ رَأْسَهُ ،
وَقَصَّ شَعْرَهُ ، وَقَصَّرَهُ .

مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا
 قَرِيبًا ^(١) ﴿١﴾ . وَفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ أَمَرَ
 مُحَمَّدٌ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ لِيَحْجُّوا ،
 لَا لِيُحَارِبُوا ، وَالَّا يَحْمِلُوا مَعَهُمْ
 إِلَّا سِوْفَهُمْ ، وَأَنْ يَجْعَلُوهَا فِي غُمْدِهَا ^(٢) .
 وَقَدْ أَرَادَ الرَّسُولُ بِهَذَا آدَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ فِي
 سَلَامٍ ، وَلَمْ يُرَدْ حَرْبًا أَوْ قِتَالًا .

رَكِبَ مُحَمَّدٌ نَاقَتَهُ ، وَخَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَعَدَدُهُمْ أَلْفٌ
 وَأَرْبَعُمِائَةٍ قَاصِدِينَ مَكَّةَ .

(١) آية ٢٧ من سُورَةِ الْفَتْحِ . (٢) غَمَدَ السَّيْفِ : جَعَلَهُ فِي قَرَابِهِ .

سَمِعَتْ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ أَنَّ مُحَمَّدًا
وَأَصْحَابَهُ قَادِمُونَ إِلَى مَكَّةَ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ
الْحَجِّ . وَلَمْ يُصَدِّقُوا هَذَا الْخَبَرَ . وَاعْتَقَدُوا
أَنَّ هَذِهِ حِيلَةٌ أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يَحْتَالَ بِهَا
لِدُخُولِ مَكَّةَ ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا .

وَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قَبْلَ
إِسْلَامِهِ وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْفُرْسَانِ لِمَنْعِ
مُحَمَّدٍ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ ، بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مِنَ
الْوَسَائِلِ .

أَخَذَ مُحَمَّدٌ يُفَكِّرُ فِيمَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ
حَرِيصًا عَلَى السَّلَامِ ، مُحِبًّا لَهُ ، وَلَمْ يَخْرُجْ

لِلْحَرْبِ ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ،
وَقَالَ : (وَاللَّهِ لَا أَزَالُ أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِي
بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ) .

وَبَحَثَ عَنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا غَيْرَ
طَرِيقِ قُرَيْشٍ لِدُخُولِ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ ،
فَتَقَدَّمَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ وَقَادَهُمْ فِي طَرِيقِ
ضَيْقٍ كُلُّهُ تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى
الْحُدَيْبِيَّةِ^(١) . فَبَرَكَتْ نَاقَةُ النَّبِيِّ عِنْدَهَا .
وَوَظَنَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا قَدْ تَعَبَتْ فَبَرَكَتْ .
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : « إِنَّهَا لَمْ تَتْعَبْ ، وَلَكِنَّهَا

(١) بِئَرْ قَرَبِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ .

وَقَفْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ». وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُعَسِّكُوا
فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْكَفَّارِ ، وَيَصِلَ
مَعَهُمْ إِلَى اتِّفَاقٍ يَحْفَظُ السَّلَامَ وَيَصُونُهُ .
فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ
بِالْوَادِي مَاءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ . فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ
كِتَابَتِهِ^(١) ، فَأَعْطَاهُ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ إِلَى بئرٍ مِنَ
الْأَبَارِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ، فَعَرَزَهُ فِي الرَّمْلِ مِنْ
قَاعِ الْبئرِ ، فَفَاضَ الْمَاءُ وَخَرَجَ بِكَثْرَةٍ ،
فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ وَنَزَلُوا بِالْحُدَيْبِيَّةِ . ثُمَّ وَصَلَ
جَيْشُ قُرَيْشٍ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ . وَوَقَفَ

(١) الْكِتَابَةُ : الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا السَّهَامُ .

الْجَيْشَانِ وَجْهًا لِوَجْهِ . وَصَمَّ الْكُفَّارُ
 أَلَّا يَسْمَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ بِدُخُولِ مَكَّةَ ،
 وَصَمَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى دُخُولِ مَكَّةَ لِأَدَاءِ
 فَرِيضَةِ الْحَجِّ . وَاسْتَمَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى خُطَّتِهِ
 وَهِيَ خُطَّةُ السَّلَامِ ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْقِتَالِ إِلَّا إِذَا
 هَجَمَتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ .

وَتَأَكَّدَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ
 مُحَارِبًا ، وَلَكِنَّهُ أَتَى لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ .
 وَقَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ مُمَثِّلُهُمْ :
 « يَا مَعْشَرَ ^(١) قُرَيْشٍ ، إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى ^(٢)

(١) جَمَاعَةٌ .

(٢) مَلِكُ الْفُرْسِ .

فِي مُلْكِهِ ، وَقَيَّصَرَ^(١) فِي مُلْكِهِ ،
وَالنَّجَاشِي^(٢) فِي مُلْكِهِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
فِي أَصْحَابِهِ . لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا^(٣)
وَضُوءَهُ . وَلَا يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْءٌ
إِلَّا أَخَذُوهُ . وَأَنَّهُمْ لَنْ يُسَلِّمُوهُ^(٤) لِشَيْءٍ
أَبَدًا . فَرَوْا^(٥) رَأْيَكُمْ . وَأَرْسَلَ الْمُصْطَفَى
عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَكِبَارِ
قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ :

(١) مَلِكُ الرُّومِ .

(٢) مَلِكُ الْحَبَشَةِ .

(٣) تَسَارَعُوا إِلَى أَخْذِهِ .

(٤) لَنْ يَخْذُلُوهُ .

(٥) فَكَّرُوا فِي أَمْرِكُمْ .

— يَا عُثْمَانُ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَطُوفَ

بِالْبَيْتِ^(١) فَطُفْ .

فَقَالَ عُثْمَانُ : لَنْ أَطُوفَ حَتَّى يَطُوفَ

رَسُولُ اللَّهِ . لَقَدْ جِئْنَا لِمِيزَانِ الْكَعْبَةِ ، وَأَدَاءِ

فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، لَا لِلْحَرْبِ .

وَحَدَّثَتْ مُفَاوِضَاتٌ وَمُنَاقَشَاتٌ طَوِيلَةٌ

بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَأَخِيرًا وَصَلَ الطَّرَفَانِ إِلَى

اتِّفَاقٍ ، سُمِّيَ مُعَاهَدَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ . وَلَوْ لَا ثِقَةٌ

الْمُسْلِمِينَ بِالرَّسُولِ مَا رَضُوا بِهَذَا

الِاتِّفَاقِ .

(١) الْبَيْتُ الْحَرَامُ ، الْكَعْبَةُ .

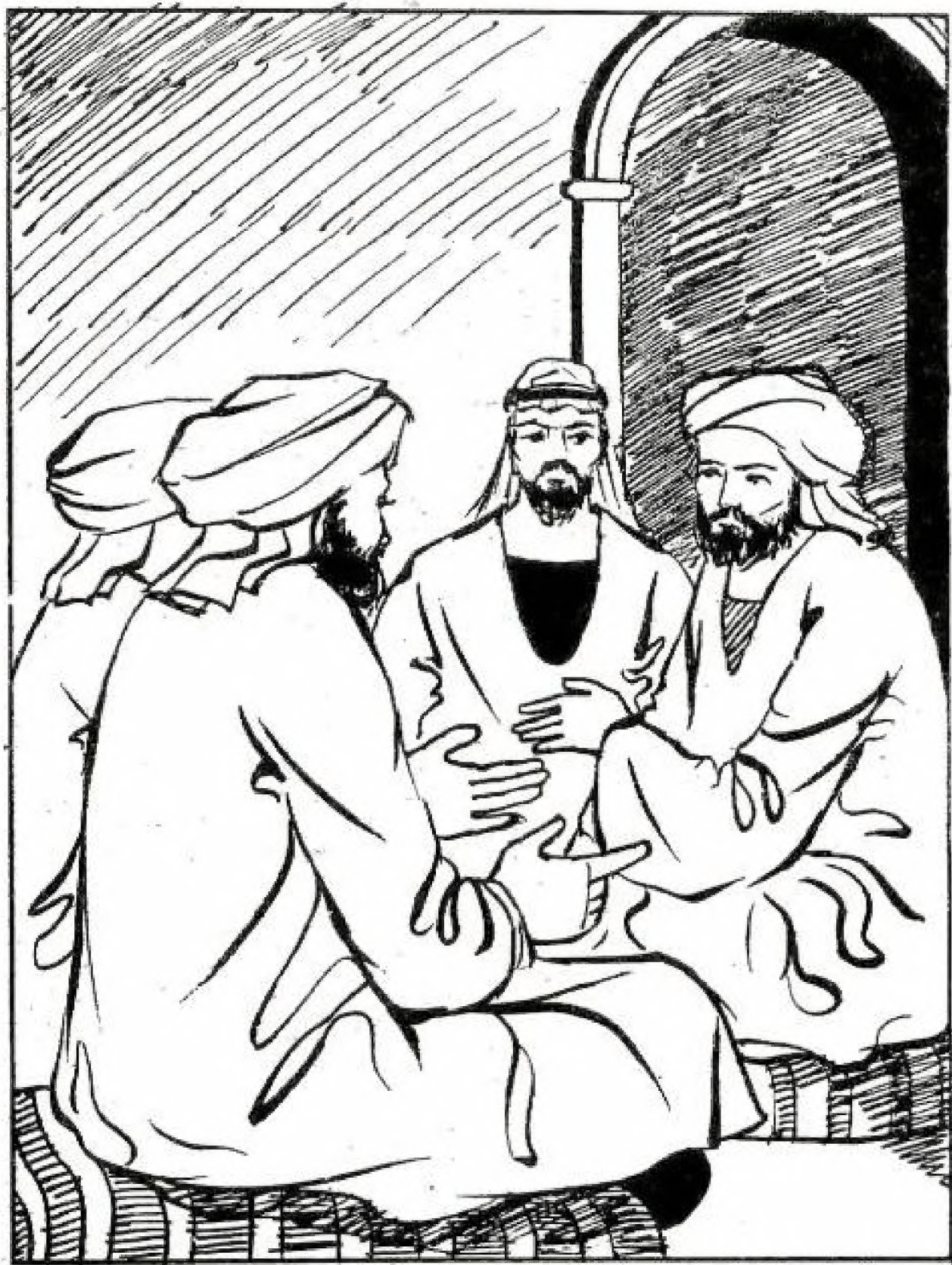
مُعَاهَدَةُ الْحُدَيْيَةِ :

« بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ^(١) هَذِهِ هِيَ مُعَاهَدَةُ
السَّلَامِ (بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ) . وَقَدْ تَعَهَّدَا عَلَى
أَنْ يَسْمَحَا لِجُيُوشِهِمَا بِالْهُدْنَةِ ^(٢) عَشْرَ
سِنِينَ . وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمُدَّةِ سَتَكُونُ كُلُّ
جَمَاعَةٍ فِي مَأْمَنِ ، وَسَيَسُودُ السَّلَامُ بَيْنَهُمَا .
وَإِنْ مَنَ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ
وَلِيِّهِ ^(٣) رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِنْ
رِجَالِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ . وَمَنْ أَحَبَّ

(١) يَا اللَّهُ . (٢) الرَّاحَةُ وَالسَّلَام . (٣) سَيِّدِهِ وَوَلِيِّ أَمْرِهِ .

مِنَ الْعَرَبِ مُخَالَفَةً مُحَمَّدٍ فَلَا جُنَاحَ^(١)
 عَلَيْهِ . وَمَنْ أَحَبَّ مُخَالَفَةَ قُرَيْشٍ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِ . وَأَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ عَنْ مَكَّةَ
 عَامَهُمْ^(٢) هَذَا ، عَلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَيْهَا فِي
 الْعَامِ الَّذِي يَلِيهِ ، فَيَدْخُلُوهَا ، وَيُقِيمُوا^(٣) بِهَا
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمَعَهُمْ مِنَ السِّلَاحِ السُّيُوفُ
 فِي قُرْبِهَا^(٤) ، وَلَا سِلَاحَ غَيْرُهَا .
 وَقَدْ مَكَثَ الْمُسْلِمُونَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ أَيَّامًا ،
 ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ إِلَى
 انْتِهَاءِ السَّنَةِ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَكَّةَ

(١) لَا إِثْمَ ، لَا لَوْمَ . (٢) سَنَّتَهُمْ . (٣) يَمْكُثُوا . (٤) جَمْعُ قَرَابَ .



رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَتَنَاقَشُونَ فِي مُعَاهَدَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ

الْمُكْرَمَةِ ، وَيُؤَدُّوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
 الْحَجِّ . وَفِي أَثْنَاءِ الرُّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَ
 جَبْرِيلُ عَلَى الرَّسُولِ بِسُورَةِ الْفَتْحِ : ﴿ إِنَّا
 فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ^(١) . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ
 مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ^(٢) ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
 عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا .
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ^(٣) ﴾ . إِلَى آخِرِ
 السُّورَةِ .

(١) وَاضِحًا .

(٢) بَعْدَ أَنْ تُسْتَغْفِرَهُ عَمَّا كَانَ يَضِيقُ بِهِ صَدْرُكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْ
 شِدَّةِ إِذَاءِ قَوْمِكَ لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ .

(٣) نَصْرًا لَا مِثِيلَ لَهُ .

لَقَدْ كَانَ عَهْدُ الْحُدَيْبِيَّةِ فَتْحًا كَبِيرًا
لِمُحَمَّدٍ وَالْإِسْلَامِ ؛ فَقَدْ اعْتَرَفَتْ قُرَيْشٌ
بِالرَّسُولِ ، وَبِأَنَّهُ مُسَاوٍ لَهَا ، وَاعْتَرَفَتْ
بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَقَرَّتْ لِلْمُسْلِمِينَ
بِحَقِّ زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْكَعْبَةُ ،
وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الْحَجِّ . وَاطْمَأَنَّ الْمُسْلِمُونَ
مُدَّةَ الْهُدْنَةِ وَهِيَ السَّنَوَاتُ الْعَشْرُ .

وَأُثْبِتَتِ الْأَيَّامُ حِكْمَةُ مُحَمَّدٍ ، وَبُعْدَ
نَظَرِهِ ، وَحُسْنَ سِيَاسَتِهِ ، وَأَنَّ عَهْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ
كَانَ سَبَبًا فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا هُوَ
الْفَتْحُ الْمُبِينُ .